عصمة الأنبياء عليهم السلام بين الإسلام واليهودية

ملخـــص البحـــث

في هذا البحث ، لقد حاولت أن أشرح حول إرسال الأنبياء عليهم السلام من قبل الله تعالى والذي هو واحد من القواسم المشتركة بين الإسلام واليهودية ، ولكن الديانتين مختلفة حول ما إذا كان الأنبياء معصومون أم لا. وقد حاولت هذه الدراسة إلى شرح مستقل لوصف كل من الاسلام واليهودية حول هذا الموضوع. في نهاية المطاف استنتجنا أن هناك فرق كبير بين الديانتين بشأن وجهة نظرهم حول عصمة الأنبياء من جميع الذنوب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم–.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، ولم يتركه بلا منهج رباني، بل أرسل إليهم رسله وأنبيائه عليهم السلام رحمة بهم، ومعهم رسالات الله ومنهجه، فأرسل إلى كل قوم رسولاً منهم، يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبده آباؤهم، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦).

من هنا نرى أنه من الضروري جداً أن نقوم بدراسة فكرة وعقيدة إرسال الرسل من عند الله تعالى إلى الإنسان، والذين بقوا من هذه الأمم التي أرسل الله إليها الرسل عليهم السلام: المسلمون واليهود والنصارى، وبما أن اليهود بمثابة الأصل للنصارى رأينا أنه من المناسب أن نقارن في هذه الدراسة المتواضعة بين اليهود والمسلمين في فكرة وعقيدة إرسال الرسل من عند الله تعالى.

والجدير بالذكر أن اليهود لهم صلة متينة بدين الإسلام من عدة وجوه، منها: أنهم يؤمنون بنبوة عدد كبير من الأنبياء عليهم السلام كما نحن نؤمن بنبوتهم، وهذا قاسم مشترك بيننا، ونحن نعترف بأن أصل دينهم صحيح وأن الله أنزل على أنبيائهم التوراة والزبور.

لا شك أن الكتابة عن الأنبياء عليهم السلام وما يجب أن يتصفوا بها من الصفات والمزايا أمر ضروري وله أهمية كبيرة في الدراسات الأكاديمية، والعالم اليوم أصبح قرية صغيرة وازدادت اختلاط أصحاب الديانات مقارنة بالماضي، ويحتاج المرء في هذا الجو إلى معرفة أفكار الآخرين ليتعامل معهم بشكل مناسب ولا يتجاوز حدود حريته، ويجادل معهم بالتي هي أحسن، و لاريب أن الاعتقاد لا يمكن أن يتخلى عنه الإنسان، مهما كان ذلك الاعتقاد والايمان عبثاً ولعباً في نظر الآخرين.

إضافة إلى ذلك هناك أناس دائماً يريدون أن يطلعوا على الأفكار والمعتقدات المهمة في الأديان التي ليسوا من أتباعها، سواء أكان ذلك بهدف دعوتهم إلى دينه أو ايجاد طريق مناسب للتعامل معهم، أو هدفاً آخر غير الذي ذكرناه، المهم أن نعلم أن هذه الدراسات أصبحت لا غنى عنها.

أهمية هذه الدراسة:

تعود أهمية هذه الدراسة إلى أمور عدة:

١-لا شك أن وجود ايمان مشترك بين الدين الإسلامي والدين اليهودي بأن الله أرسل رسلاً إلى البشرية لدعوتهم إلى دين الله تعالى، من أهم أسباب القيام بهذه الدراسة، ليكشف مدى التقارب بين الدينين في هذا الإيمان.

٢-إظهارأهم نقاط الاختلاف والاتفاق بين الإسلام واليهودية في الأنبياء وعصمتهم، وفيه تذكير بأن اليهود لا يعترفون بنبوة بعض الأنبياء كداود وسليمان، والإسلام ايضاً سكت عن ذكر نبوة بعض أنبياء بني إسرائيل، وهذا الإختلاف يدفعنا إلى التحقق عنه.

٣- إن المقارنة بين الدين الإسلامي والديانة اليهودية فيه فوائد كثيرة، فمنها: إن التوراة فيها حتى الآن أشياء مقبولة وجميلة، وإن أصابها التحريف في معظم نصوصها.

الخطة: سار هذا البحث على النحو التالي: مقدمة وقد مضت، وتمهيد في صفات الأنبياء، وثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام

المطلب الأول: تعريف العصمة وأدلتها

الفرع الأول: تعريف العصمة

الفرع الثاني: أدلة العصمة

المطلب الثاني: تعريف النبي والرسول

الفرع الأول: تعريف النبي

الفرع الثاني: تعريف الرسول

الفرع الثالث: أدلة الفرق بين النبي والرسول

المبحث الثاني: أنواع الذنوب

المطلب الأول: تعريف الشرك والكفر

الفرع الأول: تعريف الشرك

الفرع الثاني: تعريف الكفر

المطلب الثاني: الكبائر

المطلب الثالث: الصغائر

المطلب الرابع: أدلة وجود الفرق بين أنواع الذنوب

المبحث الثالث: موقف اليهود من عصمة الأنبياء

المطلب الأول: التعريف بالنبي عند اليهود

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء في التوراة

تمهيد

في صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك والوثنية إلى صراط الله المستقيم، ومعهم ما يبلغونه للناس من أوامر ونواهي إلهية، ومادام الأنبياء عليهم السلام مهمتهم تلبيغ ما أمرهم الله به وجب أن يكونوا اصحاب صفات تؤهلهم لأداء هذه المهمة، وأن يختصوا بصفات كمال النوع الإنساني من العلوم والفضائل حتى يثق الناس بما عندهم من الشريعة والأحكام، ليخضعوا ويذعنوا له، لذلك نجد علمائنا بحثوا نصوص القرآن والسنة وتفكروا بعقولهم في تحديد هذه الصفات، ، وفيما يلي نذكر أهم صفات الأنبياء التي قال بها العلماء:

١-العقل:ملكة غريزية يقدر من خلالها الإنسان على التمييز والإختيار بين الأشياء المختلفة أعني النافعة والضارة، لهذا يعد العقل من أبرز صفات الرسل التي منحهم الله تعالى إياها، وهى من لوازم الرسالة الإلهية، والاصطفاء الرباني لها، كما أنها عامل مهم، وسبب قوى من أسباب تبليغ رسالة الرسل إلى أقوامهم([1]).

وهذه الصفة مهمة جداً للرسل لإقناع الناس بأن الرسالة التي معهم من عند الله، وليست من عند أنفسهم، ويتبين ذلك أكثر عند المناظرة مع الكفار، والرسل عليهم السلام لديهم قدرة كبيرة في إفحام الخصم.

ويذكر القرآن الكريم عدة قصص يناظر الأنبياء عليهم السلام الكفار، والغلبة فيها للأنبياء بالحجة والبرهان وتظهر فيها فطنتهم ، منها: قصة مناظرة إبراهيم عليه السلام مع نمرود: ((قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)) (البقرة: ٢٥٨)، وقصة يوسف مع بعض السجناء عندما قال لهم: ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)) (يوسف: ٣٩).

٢-البشرية: إن من رحمة الله الواسعة للإنسانية أن أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم، يتصفون بكل الصفات الإنسانية، فهم يحتاجون لما نحتاجه نحن، فهم يأكلون كما نأكل ويشربون كما نشرب، ويموتون كما نموت فلا خلود لهم في الدنيا، وإنهم معرضون للمرض وأمثاله.

وفي إثبات هذه الصفة للرسل عليهم السلام رد على المشركين الذين اعتقدوا بأن الرسالة من خواص الملائكة، فلا شك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر مثلنا لكن أفضل منا وليس لهم من الربوبية والألوهية شيء، كما قال سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}(الكهف: ١١٠)ولا يجوز لنا ولا لأحد أن يصرف لهم شيئاً من العبادات، فليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، ومن يفعل ذلك فقد انحرف عن الصراط المستقيم.

٣-الصدق والصبر والأمانة: هذه صفات لازمة للأنبياء و الرسل عليهم السلام فهم صادقون في أقوالهم وأعمالهم، قال تعالى: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]. وصابرون في الدعوة والفقر والغنى،

وفي البأساء والضراء، وفي تبليغ الرسالة، وقد أصابهم أنواع الأذى، ومع ذلك فقد تحملوا وصبروا في سبيل الله، قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥].

وهم أيضاً أمناء الله تعالى في الأرض، فقد اختارهم وائتمنهم على الوحي، يستحيل في العقل أن يأتمن الله تعالى الخائن لحمل رسالته إلى الناس.

٤-الذكورة والحرية: شرط من أكرمه اللَّه تعالى بِالنُّبُوَّةِ أَيْ: أَنْ يَتَّصِفَ بِالذُّكُورِيَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} [يوسف: ١٠٩] فَأَثْبَتَ الرِّسَالَةَ لِلرِّجَالِ الْمُوحَى([٢]).

ليس الذكر كالأنثى فهم قادرون على فعل أشياء لاتستطيع الأنثى أن تقوم بها، لذلك اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يختار الرسل من الذكور دون الإناث، لأن أعباء وثقل الدعوة تحتاج إلى قدرة الرجال وصبرهم في مواجهة المشكلات والأزمات.

أما بالنسبة لشرط الحرية فقال العلامة السفاريني: ((وذلِكَ لِأَنَّ الرِّقَّ وَصْفُ نَقْصٍ لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ، وَالنَّبِيُّ يَكُونُ دَاعِيًا لِلنَّاسِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَالرَّقِيقُ لَا يَتَيَسَّرُ لَهُ ذَلِكَ، وَأَيْضًا الرِّقِّيَّةُ وَصْفُ نَقْصٍ يَأْنَفُ النَّاسُ وَيَسْتَنْكِفُونَ مِنَ اتِّبَاعِ مَنِ اتَّصَفَ بِهَا))([٣]).

انقسمت البشرية في معظم العصور إلى طبقتي الأحرار والعبيد، فقد كان غالبية الدول والناس آنذاك تعترف بهذا التقسيم، لذلك نجد أن الأنبياء عليهم السلام كانوا من الأحرار ومن أشرف النسب، وتتجلت الحكمة في إختيارهم من أشرف النسب أن النسب الشريف له تأثير كبير في النفوس، فينقاد الناس لهم ويلتفوا حولهم.

المبحث الأول: عصمة الأنبياء والرسل:

المطلب الأول: تعريف العصمة وأدلتها:

الفرع الأول: تعريف العصمة:

العصمة لغة: قال ابن فارس: (((عصم) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد. من ذلك العصمة: أن يعصم الله – تعالى – عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبد بالله – تعالى –، إذا امتنع. واستعصم: التجأ. وتقول العرب: أعصمت فلانا، أي هيأت له شيئا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به))[٤].

وجاء في كتاب العين: ((العصمة: أن يعصمك الله من الشر، أي: يدفع عنك. واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشر. واستعصمت، أي: أبيت. وأعصمت، أي: لجأت إلى شيء اعتصمت به))[٥].

ثانياً: التعريف الإصطلاحي: اختلفت عبارات العلماء في تعريفهم للعصمة، نورد بعضها: قال بعض المتكلمين: ((هي أن لايخلق الله فيهم ذنباً))[٦].

ومنها أيضاً تعريف صاحب المسامرة: ((هي لطف من الله تعالى، يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الإختيار، تحقيقاً للإبتلاء))[٧].

ويستنتج من هذه التعريفات أن العصمة هبة من الله سبحانه يعطيها للأنبياء والرسل عليهم السلام، ليتصفوا بأفضل الصفات التي تؤهلهم، لأن يكونوا أمناء الله في تبليغ الرسالة، مع بقاء الإختيار لهم، في فعل الطاعات وترك المنكرات،وهذا يعني أن التعريف اللغوي يتفق مع التعريف الإصطلاحي.

الفرع الثاني: أدلة العصمة:

عندما نتحدث عن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، نقصد عصمتهم في التبليغ وعصمتهم عن ارتكاب الكفر والشرك والكبائر والصغائر قبل النبوة أو بعدها، لأنهم لهم حالتان قبل البعثة وبعدها، لكن هناك عدد منهم–قل أو كثر– يولدون في أسرة مؤمنة ومتمسكة بشريعة قبله من الرسل كأكثر أنبياء بني إسرائيل، مثل: يوسف بن يعقوب بن إسحاق عليهم السلام، وكذلك يحيى بن زكريا، وسليمان بن داود، إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة و السلام، وفي المقابل هناك عدد من الأنبياء مثل نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام وهود وصالح عليهم السلام، آباؤهم ليسوا بأنبياء.

تثبت العصمة للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في تبليغ الرسالة عدة نصوص من الكتاب والسنة، والإجماع، منها:

١–{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}.

٢–{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}.

٣-{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً، وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً، إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً}.

٤-وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء:١١٥)

وجه الدلالة في هذه الآية كما قال النيسابوري: ((وفي الآية دلالة على وجوب عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بأقواله وأفعاله وإلاّ وجب المشاقة في بعض من الأمور))([٨]).

٥-فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (النساء: ٦٥). وقال الدكتور وهبة الزحيلي عند تفسير الآية: ((عصمة النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الخطأ في الأحكام القضائية كعصمته في تبليغ الوحي الإلهي، فهو لا يحكم إلا بالحق بحسب الظاهر له، لا بحسب الواقع، والله يتولى السرائر))([٩]).

أما دليل الإجماع على ذلك فقد قال ابن العطية في تفسيره القيم: ((وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة، واختلف في غير ذلك من الصغائر، والذي أقول به أنهم معصومون من الجميع))([١٠]).

وأما دليل العقلي فقد قال الإمام الرازي: ((لو صدر الذنب عنهم، لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلاً، والعقاب آجلاً، أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطل، فصدور الذنب عنهم أيضاً باطل. بيان الملازمة: إن أعظم نعم الله على العباد إعطاؤهم نعمة الرسالة والنبوة. وكل من كانت نعم الله تعالى عليه أكثر، كان صدور الذنب عنه أفحش، وصريح العقل يدل عليه))([١١]).

وقال الإمام الرازي:((أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف، فيما يتعلق بالتبليغ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء، واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا كما لا يجوز أيضا سهوا، ومن الناس من جوز ذلك سهوا، قالوا: لأن الاحتراز عنه غير ممكن))([١٢]).

المطلب الثاني: تعريف النبي والرسول

الفرع الأول: تعريف النبي

النبي لغة: ((النبي: مشتق من النبأ، بمعنى: الخبر، فإن كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحى الله إليه، فهو فعيل، بمعنى: فاعل، وإن كان المراد أن الله يخبره بما يوحي إليه، فهو فعيل، بمعنى: مفعول، ويصح أن يكون مأخوذًا من النَّبء (بالهمزة وسكون الباء) ، أو النبوة، أو النباوة (بالواو) ، وكلها بمعنى: الارتفاع والظهور، وذلك لرفعة قدر النبي، وظهور شأنه، وعلوّ منزلته))([١٣]).

وورد في مختار الصحاح في مادتي نبأ ونبا: (النبأ) يأتي بمعنى الخبر، يقال: (نبأ) و (نبأ) و (أنبأ) أي أخبر ومنه (النبي) لأنه أنبأ عن الله وهو فعيل بمعنى فاعل ، وقيل للمكان المرتفع من الأرض النبوة و النباوة فإن أخذت (النبي) منها أردت أنه شرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز وهو فعيل بمعنى مفعول))([١٤]).

النبي إصطلاحاً: ((هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين)) ([١٥]).

((النبي(من) بُعِثَ لتقرير شرعٍ سابق))([١٦]).

((النبي غير الرسول من لا كتاب له))([١٧]).

حسب هذين التعريفين أن الأنبياء عليهم السلام ليسوا مستقلين في دينهم، وإنما عليهم إتباع الشريعة المنزلة السابقة لهم في الزمن، وأن دعوتهم مختصة بالمؤمنين، أما الرسل عليه السلام، فإنهم معهم شريعتهم التي جاؤا بها من عند الله، وتختلف عن الشرائع التي سبقتها في العديد من الأحكام.

الفرع الثاني: تعريف الرسول

الرسول لغة:

الرسول إصطلاحاً: ((هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله))([١٨]).

الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعو الناس إليه([١٩]).

((الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم وإن لم يكن جديدا في نفسه))([٢٠]).

((الرسول من بعثه الله بشريعة يدعو الناس إليها، سواء كانت جديدة أو متقدمة))([٢١]).

يظهر مما سبق أن النبي والرسول متغايران لفظا ومعنى([٢٢]).

الفرع الثالث: الفرق بين النبي والرسول وأدلته:

تنوعت مذاهب أهل العلم في الفرق بين النبي والرسول فقال بعضهم إنه لافرق بينهما، وقال بعض الغلاة إن النبي أرفع من الرسول، وذهب الجمهور وعامة أهل السنة إلى النبي والرسول متغايران، وهذا المذهب الأخير هو الصحيح([٢٣]).

الفرق بين الرسول والنبي: وقد سبقنا أن رأينا كيف فرق العلماء في تعريفهم للنبي والرسول بينهما، لذا وددت أن أورد بعض الفروق المذكورة عندهم، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١- يظهر الفرق الأول في أن الرسول بُعِثَ بشرع جديد والنبي بعث لتقرير شرع من قبله ولكن كل منهما مأمور بالتبليغ([٢٤]).

٢- النبي أعم من الرسول فإنه من أوحي إليه سواء أمر بالتبليغ أم لا والرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ.

٣- حسب رأي بعض العلماء الرسول هو من جمع إلى المعجزة كتابا منزلاً عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له([٢٥]).

استدل العلماء على أن بين النبي والرسول تغايراً بأدلة، منها:

[وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته....] { الحج:٥٢}. قال البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية::((وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام))([٢٦]).

وبقوله تعالى: (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) (مريم:٥١)

والواضح مما سبق لاتوجد مجال للشك في أن النبي والرسول مصطلحان مختلفان.

المبحث الثاني: أنواع الذنوب

يتعلق هذا المبحث ببحثنا هذا لأننا نتحدث عن عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام عن اقتراف جميع أنواع الذنوب والمعاصي سهواً وعمداً قبل النبوة وبعدها.

ينقسم الذنوب (غير الشرك والكفر) في الشريعة الإسلامية عند جمهور العلماء، إلى صغائر وكبائر في حين يرى طائفة من العلماء أنها قسم واحد، وإنما عندما نسميها كبائر بالنسبة إلى ماهو أكبر(٢٧)، وهذا يعنى أن هناك ثلاثة أنواع من الذنوب: الشرك والكفر والكبائر والصغائر، حيث نجد أن الجمهور اختلفوا في تعريف كل نوع منها، لذا نود أن نستعرض مجموعة من هذه التعاريف، ليتجلى بوضوح ما مقدار الفرق بين هذه الأنواع.

المطلب الأول: تعريف الشرك والكفر

الفرع الأول: الشرك:

الشرك لغة: قال ابن فارس ((الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة. فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. ويقال: شاركت فلانا في

الشيء، إذا صرت شريكه. وأشركت فلانا، إذا جعلته شريكا لك. قال الله جل ثناؤه في قصة موسى: [وأشركه في أمري] {طه: ٣٢}))([٢٨]).

الشرك اصطلاحاً: قال بعض العلماء: ((وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أويصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية))([٢٩]).

يتبين من خلال عرض التعريف اللغوي والإصطلاحي أنهما يتفقان في أن المراد بالشرك هو أن تجعل شخصين أو أكثر شريكين ومساويين في شيء ما، حتى لو كان نصيب أحدهما أكبر من نصيب الآخر.

الفرع الثاني: تعريف الكفر:

الكفر لغة: تأتي هذه الكلمة بمعنى السَّتْر والتَّغطية([٣٠]).

الكفر اصطلاحاً: قال ابن تيمية: ((الكفر عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة))([٣١]).

وجاء في تفسير السعدي: ((وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه))([٣٢]).

أما بالنسبة لشرك الأصغر والكفر الأصغر فلا نتعرض لتعريفهما لدخولهما في الكبائر.

المطلب الثاني: الكبائر

الكبائر لغة: وهو ضد الصغر كما قال ابن فارس: ((الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر. يقال: هو كبير، وكبار، وكبار. قال الله تعالى: {ومكروا مكرا كبارا} [نوح: ٢٢]))([٣٣]).

الكبائر إصطلاحاً: اختلف العلماء في تعريفها، فمنهم من عرفها بقوله: ((هي كل معصية يترتب عليها حدّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو لعنة أو غضب، أو نار، أو عذاب))([٣٤]).

وجاء في مجلة البحوث الإسلامية في تعريفها: ((إنها المعاصي التي فيها حد في الدنيا؛ كالسرقة والزنا والقذف وشرب المسكر، أو فيها وعيد في الآخرة بغضب من الله، أو لعنة أو نار؛ كالربا والغيبة والنميمة والسب والشتم))([٣٥]).

هذه التعريفات حددت لنا الإطار الذي تجتمع فيه الكبائر، وقررت أن وجود حد على فاعل أي معصية في الدنيا، أو ورود نص فيه بإحلال غضب الله عليه أو لعنه أو دخوله النار بسبب هذه المعصية، يدخلها في دائرة الذنوب الكبيرة.

لكن علينا أن نعلم أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب وهو قدر زائد على مجرد الفعل والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره([٣٦]).

أما بالنسبة لعددها فقد اختلف العلماء في انحصارها في عدد معين، فقد قال بعض العلماء أقلها سبع وأكثرها غير محدود بعدد معين ومن المنصوص عليه منها: القتل، والزنا، واللواطة، وشرب الخمر، والسرقة، والغصب، والقذف، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم، والعقوق، والفرار من الزحف، وأخذ مال اليتيم، وخيانة الكيل والوزن، والكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وتقديم الصلاة وتأخيرها، وضرب المسلم، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة، والرشوة، والدياثة، ومنع الزكاة، واليأس من الرحمة، وأمن المكر، والظهار، وأكل لحم الخنزير والميتة، وافطار رمضان من غير عذر، والربا، والغلول، والسحر، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونسيان القرآن بعد تعلمه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع الزوجة من زوجها بلا سبب([٣٧]).

المطلب الثالث: الصغائر

الصغيرة لغة: ((الصاد والغين والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على قِلَّةٍ وحقارة. من ذلك الصَّغَر: ضدّ الكِبَر. والصَّغير: خلاف الكبير))([٣٨]).

الصغائر إصطلاحا: قال بعض العلماء: ((هي الذنوب التي لم يرد على فعلها وعيد شديد))([٣٩]). وقد عرفها بعضهم بقوله ((هي كل معصية لايترتب عليها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، أو لعن، أو غضب، أو عقوبة، أو نفي الايمان عن فاعلها))([٤٠]).

المطلب الرابع: أدلة وجود الفرق بين أنواع الذنوب:

كما ذكرنا آنفاً أن هناك ثلاثة أنواع من الذنوب، فقد استدل العلماء بالكتاب والسنة على هذا التقسيم:

الكتاب: استدل العلماء بآيات كثيرة، منها:

١- قوله تعالى: {لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا} [الكهف: ٤٩]. فقد دلت الآية الكريمة على تقسيم الذنوب والمعاصي إلى الكبائر والصغائر([٤١]).

٢-وقوله تعالى: {وكل صغير وكبير مستطر} [القمر: ٥٣]. وجه الإستدلال بهذه الآية أن الذنوب نوعان: الكبائر والصغائر([٤٢]).

٣-إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (النساء: ٣١) قال العلامة ابن عاشور: ((وقد دلت إضافة كبائر إلى ما تنهون عنه على أن المنهيات قسمان: كبائر، ودونها وهي التي تسمى الصغائر))([٤٣]).

٤- الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ (النجم: ٣٢).

أما السنة ففيها أحاديث كثيرة تبين أن الذنوب(غير الشرك والكفر) قسمان: كبائر وصغائر، نأتي ببعضها:

١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ([٤٤]).

٢- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»([٤٥]).

٣-أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»([٤٦])

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء عند اليهود

المطلب الأول: تعريف النبي عند اليهود

تأتي كلمة النبي في كثير من اللغات السامية مثل العبرية والعربية والآرامية، لكن الذي يهمنا هنا هو اختلاف الباحثين في معناها في اللغة العبرية، فقد تعددت أوزانها لذلك تعددت معانيها، منها: تنبأ، وتحدث كنبي، يسبح الله، وأنشد([٤٧]).

أما النبي في اصطلاح اليهود يمكننا أن نورد بعض ما قاله الباحثون من اليهود وغيرهم في تعريف النبي عند اليهود بالاستناد إلى العهد القديم.

جاء في قاموس الكتاب المقدس في تعريف النبي:((هو من يتكلم أو يقول ما يجول في خاطره، دون أن يكون ذلك الشيء، من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه، قوة الله عند المسيحيين والعبرانيين والمسلمين([٤٨])، وقوة الآلهة المتعددة عباد الأصنام والوثنيين))([٤٩]).

ويعرفه بعض الباحثين بقولهم: ((النبي رجل أحس بأنه مدعو من الله لأداء مهمة خاصة، تكون فيها إرادته خاضعة تماماً لإرادة الله التي يتعرف عليها من خلال الوحي أو الإلهام المباشر. النبي إذن زعيم روحي ملهم ومكلف تكليفاً مباشراً من الاله التحذير قومه من الوقوع في الخطيئة، وبالدعوة إلى الإصلاح، وبعث الدين الصحيح، والأخلاق السليمة))([٥٠]).

ويعرفه آخرون تعريفاً آخر: ((إن النبي شخص مدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه))([٥١]).

والسبب الذي يرجح هذا التعريف الأخير، هو استخدام الترجمة السبعينية الكلمة اليونانية [prophetes] للتعبير عن النبي، ومعناها شخص يتحدث نيابة عن الإله وهو نفس المعنى المعبر عنه لتحديد العلاقة بين موسى وهارون في سفر الخروج([٥٢]).

ومن الجدير بالذكر هو ما توصل إليه الباحث اليهودي الكبيرمن أن هناك ثلاثة أسماء: الرائي، النبي، الحازي، تطلق على رجل الله أي النبي، وذلك استناداً إلى عدة نصوص واردة في العهد القديم، وفند الرأي القائل بأن كلمة النبي دخلت إلى بني إسرائيل من طريق الأمم المجاورة لهم([٥٣]).

ومن المستحسن أن نعلم أن هذه الألفاظ الثلاثة أعني تسمية (الرائي-الحازي) من جهة، و(النبي) من جهة أخرى، لاتعنيان نوعين متميزين من (رجل الله) بل هما تعنيان اتجاهين، وعلاقتين لنفس الرجل، يكمل كل منهما الآخر، فاسم الرائي والحازي يعين صلة رجل الله بالله، في حين أن الاسم (النبي) يعين صلته بالأمة([٥٤]).

ولم يقتصر استخدام الكتاب المقدس اسم النبي على الرجل الذي تلقى الوحي من عند الله حقاً، بل أطلقه أيضاً على الذين يدعون أنهم أنبياء الله كذباً وزوراً، غايتهم إفساد عقائد الناس وجمع الأموال: ((وَقُلْ لِلَّذِينَ هُمْ أَنْبِيَاءُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَوَاتِهِمِ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَيْلٌ لِلأَنْبِيَاءِ الْحَمْقَى الذَّاهِبِينَ وَرَاءَ رُوحِهِمْ وَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا))([٥٥]).

تختلف النظرة الإسلامية إلى الأنبياء عليهم السلام عن النظرة اليهودية إلى الأنبياء، حيث نجدهم يقسمون الأنبياء إلى أنبياء أوائل وأنبياء متأخرون، ومن أبرز الأنبياء الأوائل الذين جاؤا بعد موسى: صموئيل، جاد، ناثان، إيليا، إليشع، أما الأنبياء المتأخرون فمنهم الأنبياء الصغار ومنهم الأنبياء الكبار كما يزعم اليهود، ومن هذا القسم الأخير: إشعيا، إرميا، حزقيال، دانيال، وعدد صغار الأنبياء الإثنا عشر، وهم: ناحوم، حبقوق، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، صفنيا، حجّي، زكريا، ملاخي([٥٦]).

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء في التوراة

وفي المطالب السابقة اتضح لنا جلياً أن التعريف الإسلامي للنبي مخالف ومباين لما تؤمن به اليهود.

وينبغي أن نشير إلى أننا كمسلمين نعتقد أن داود وسليمان نبيان معصومان بخلاف أتباع الديانة اليهودية حيث اعتبرهما ملكين لا نبيّين([٥٧]).

لذلك نجد في العهد القديم عدة جرائم تنسب إليهما، فنذكر أولاً بعض ما اتهم به اليهود نبي الله داود عليه السلام، فجريمة الزنا التي حرمها التوراة فقد نسبها إلى داود عليه السلام، وتذكر التوراة بأن داود زنا بامرأة قائده العسكري أوريا الحثي ودبر مؤامرة لقتله والتخلص منه، وولدت امرأة أوريا لداود ابناً (نبي الله سليمان) من الزنا، ، ((وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشَّى عَلَى سطح بيت الملك، فَرَأَى مِنْ عَلَى السطح امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ المنظر جداً. .....امْرَأَةَ أُورِيَّا الحثي؟.....فاضطجع معهَا ..... ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بيتها..... وَحبلت الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى».....))([٥٨]).

وبتصفح أسفار العهد القديم يجد القارئ أشياء لا يخطر ببال المسلم أن ينسب هذه الجرائم البشعة إلى الأنبياء، منها نسبة الخداع والزنا وأشياء أخر إلى هؤلاء الأنبياء عليهم السلام.

لم يتوقف مؤلفو العهد عند هذا الحد، واستمر في نسبة جرائم كثيرة إلى الأنبياء عليهم السلام، فقد اتهم سليمان عليه السلام –في زمن شيخوخته– بترك عبادة الله وصنع المعابد لعبادة الأوثان والأصنام التي يعبدها الأقوام المجاورة لبني إسرائيل في المنطقة. وذلك من أجل استرضاء نسائه المشركات كما تزعم التوراة. ((وكان في زمان شَيخوخَةِ سُلَيمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ))([٥٩]).

بينما جاء في القرآن الكريم ذكر داوود سليمان عليهما السلام بأفضل صورة وبكل تقدير وإكرام في آيات كثيرة، فقد برَّأهما الله سبحانه وتعالى من كل الإتهامات التي ألصقها بهما التوراة المحرفة، من الكفر والسحر والزنا، وذكر الله داوود وسليمان من جملة الأنبياء الكرام الذين عصمهم الله من الكفر والمعاصي كسائر الأنبياء عليهم السلام، وهذه بعض السورة والآيات التي تتحدث عنهما، قال تعالى: ((وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)). (الأنعام: ٨٣-٨٤).

و كذلك جاء ذكرهما في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)).(النمل: ١٥-١٦).

ويزعم كاتب التوراة أن لوط عليه السلام زنى مع ابنتيه وهو لايدري لأنه شرب الخمر، ((فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.))(٦٠).

وهذا النص في سفر التكوين خطير جداً لسببين، أولاً: لأنه بهتان ونسبة أفحش جريمة إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام، ثانياً:إن ابنتي لوط نجتا مع أبيهما لأنهما من المؤمنيين بنبوة أبيهما ولم يكونا من الكافرين المفسدين الذين ليس منهم رجل رشيد، وكما يزعم كاتب هذا السفر أن هاتين البنتين فعلتا جريمة لا تقل خطورة عن اللواطة بل أكبر منها لأنهما زنيتا مع نبي ومع ذلك أن هذا النبي أبوهما.

كان من المتوقع على الأقل أن يحترم اليهود أنبيائهم خاصة يعقوب عليه السلام، لأنهم انحدروا من صلبه ونسبتهم إليه، ومن المعلوم أن اسمه عليه السلام إسرائيل كما ورد في القرآن الكريم(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) (آل عمران: ٩٣).

مع هذا الإتصال الوثيق بين اليهود (بني إسرائيل) ويعقوب عليه السلام، فإنهم تلفقوا قصة وأدخلوها في أسفار العهد القديم، وتشتمل القصة على عدة أمور بعيدة عن أخلاق الأنبياء عليهم السلام ومكانتهم ووظيفتهم وعصمتهم.

تقول التوراة عندما شاخ إسحاق عليه السلام، وكلت عيناه أراد أن يبارك ابنه البكر عيسو-الابن الأكبر- وطلب منه أن يخرج إلى البرية ويصيد له صيداً ثم يصنع طعاماً محبوباً لى إسحاق عليه السلام، ويقدمه له وحينئذ يهب إسحاق عيسو بركة، لذلك ذهب عيسو للصيد وقبل أن يتم عيسو طلب أبيه، خطر ما لا يخطر ببال أحد، وهو تدبير مؤامرة لسرقة هذه البركة من عيسو ليعقوب عليه السلام(٦١).

وقامت رفقة زوجة إسحاق عليه السلام بتنفيذ المؤامرة، وذلك عندما علمت بذهاب عيسو إلى الصيد، ووعد أبيه بإعطائه البركة، قالت رفقة ليعقوب إذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين من المعزي فأصنعهما أطعمة كما يحب إسحاق عليه السلام، ورضي يعقوب عليه السلام بذلك وقال: إن أخي عيسو أشعر وأنا أملس وأخاف أن يعلم أبي أني يعقوب حين يجسني فأكون في عينيه كمتهاون فأجلب على نفسي لعنة لابركة.

وعلى أي حال، صنعت رفقة الطعام، لكن لإخفاء ذلك لبس يعقوب في يديه وعنقه جلد الجدي، وخدع أبيه عليهما السلام وأخذ البركة لنفسه، حتى قال إسحاق عندما قبل يعقوب وجسه: ((الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو))(٦٢).

وعندما رجع عيسو انكشف الأمر للجميع، وقدم عيسو الطعام المطلوب منه وقال: («لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ حَتَّى تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ: «أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو». فَارْتَعَدَ إِسْحَاقُ ارْتِعَادًا عَظِيمًا جِدًّا وَقَالَ: «فَمَنْ هُوَ الَّذِي اصْطَادَ صَيْدًا وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ نَعَمْ،

وَيَكُونُ مُبَارَكًا». فَعِنْدَمَا سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جِدًّا، وَقَالَ لأَبِيهِ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي». فَقَالَ: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ)(٦٣).

هذه هي نظرة اليهود حتى إلى أقرب الأنبياء منهم وهو أبوهم يعقوب عليه السلام، بينما ينظروا إليهم المسلمون بكل احترام وتقدير وينفون عنهم جميع المعاصي والجرائم التي ألصقها بهم اليهود، قال تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(البقرة: ١٣٣).

التوراة مملوء بهذه الأكاذيب والتهم والجرائم التي يزعم اليهود أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ارتكبوها، وذكرنا منها بعضها ليتبين موقف اليهود من عصمة الأنبياء وخاصة أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم لا إلى غيرهم، فلا نرى لذكر جميع كل ما ورد في التوراة حول الأنبياء فقد أوردنا ما فيه الكفاية.

المطلب الثالث: تعريف الذنوب عند اليهود

من المعلوم لدينا جميعاً أن مخالفة أوامر أية شريعة أو دين تكون بترك تنفيذ أوامره وارتكاب منهياته، وكذلك نعلم أن الجريمة والإثم والذنب والمعصية والخطيئة ألفاظ مترادفة، من هنا يمكننا أن نعرف الذنب في الشريعة اليهودية بأنه: مخالفة أوامر الله الواردة في التوراة وسائر كتب العهد القديم، وكذلك مخالفة التلمود عند الفرق التي اعتبرت التلمود وحياً شفوياً.

قد حرمت الشريعة اليهودية عدداً كبيراً من الذنوب والمعاصي، وحددت لها أنواعاً من العقوبات، ومن هذه الذنوب جريمة القتل فقد قررت التوراة قتل كل من قتل إنساناً: ((وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ))(٦٤).

أما بالنسبة لجريمة اللواط وإتيان البهائم فقد جاء في سفر اللاويين في تحريم و تحديد عقوبة فاعلهما، النهي: ((وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ. وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ بَهِيمَةٍ مَضْجَعَكَ فَتَتَنَجَّسَ بِهَا. وَلاَ تَقِفِ امْرَأَةٌ أَمَامَ بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا. إِنَّهُ فَاحِشَةٌ))(٦٥). وتنفيذ العقوبة: ((وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تُمِيتُونَهَا. وَإِذَا اقْتَرَبَتِ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا، تُمِيتُ الْمَرْأَةَ وَالْبَهِيمَةَ. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ))(٦٦).

ومن الجرائم المعاقب عليها بالقتل، الزنا بإحدى هذه النساء(٦٧): زوجة الأب، زوجة الإبن، أم الزوجة، الأخت، العمة، الخالة، زوجة الأخ، إبنة الكاهن.

وهناك عدد من الجرائم التي حرمتها الشريعة اليهودية، مثل جريمة شرب الخمر للكاهن عند دخول خيمة الإجتماع(٦٨)، والسرقة والكذب والغدر الإنسان بصاحبه، والحلف بالكذب(٦٩).

ومن الواضح جداً أن الدين الإسلامي الحنيف والديانة اليهودية متفقون في تحريم كبائر الذنوب وتجريمها ووضع العقوبات لمن ارتكبها، أما بالنسبة لعصمة الأنبياء فإن المسلمين متفقون على أنهم معصومون منها

ولايصدر منهم. أما اليهود فقد نسبوا الكبائر من الزنا والخداع والكذب وسائر الذنوب إلى أنبيائهم كما اتهموا لوط بالزنا وكذلك داود.

الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى أهم نتائجه، وهي كما يلي:

١- كثيراً ما تتشابه المصطلحات لفظاً، بينما تختلف في مفهومها ومعناها من دين إلى دين، أو مذهب لمذهب، أو طائفة من الإنسان لطائفة أخرى، نحو كلمة النبي يستعملوها المسلمون واليهود وهذا تشابه لفظي، لكن في المراد بها يختلفان، كما بيناها في هذا البحث.

٢ -يرى جمهور المسلمين أن الأنبياء والرسل معصومون من اقتراف الشرك والكفر والكبائر، في حين يعتقد اليهود عدم عصمتهم، كما ورد في العهد القديم نصوص كثيرة تروي لنا جرائم كثيرة فعلها الأنبياء.

٣-في الإسلام يقال للرجل الذي أنزل عليه الوحي نبياً أو رسولاً، فكل رسولاً نبياً، لكن ليس كل نبي رسولاً، كما ذكرناها في هذا البحث، في حين يستخدم اليهود ثلاثة أسماء للرجل: النبي، الرائي، الحازي.

٤-يظهر من خلال هذا البحث أن اليهود يرفضون نبوة طائفة من أنبيائهم، وينظرون إليهم كملك لا كنبي، مثل نبي الله داود وسليمان عليهما السلام، بينما يثبت القرآن نبوتهم، ومعلوم لدى المسلمين أن الأنبياء بعيدون كل البعد عن اقتراف الكفر والشرك والبكائر عمداً وسهواً قبل النبوة وبعدها.

٥-لم ينج نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من التهم التي ينسبونها إليهم اليهود، وهم لديهم جرأة قبيحة في صنع القصص والأكاذيب ثم إلصاقها بالأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

٦-لم يحترم اليهود حتى أقرب الأنبياء إليهم وهو يعقوب (إسرائيل)عليه السلام أبوهم الذي ينتسبون إليه، كما تبين في هذا البحث أنهم يتهمونه بالمكر والخداع وسرقة البركة من أخيه عيسو، البركة التي أراد إسحاق أن يهبها لابنه لعيسو.

الهوامش

([1])رد شبهات حول عصمة النبي – صلى اله تعالى عليه وسلم – في ضوء السنة النبوية الشريفة: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، ١٢/٦.

([2])لوامع الأنوار البهية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، ٢٦٥/٢.

([3]) المصدر نفسه، ٢٦٥/٢

([4]) –ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ٣٣١/٤.

([5]) –الخليل: العين، ٣١٣/١.

([6]) –شرح العقائد العضدية للدوني ٢٧٩/٢. والموقف ٢٨٠/٨العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ٤٥٩.

([7]) –المسامرة، ص: ٢٢٩. نقلا عن كتاب أصول الدين للقحطان الدوري ص: ١٨٣.

([8]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٩٧/٢.

([9]) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٤٠/٥.

([10]) بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢١١/١.

([11]) الأربعين في أصول الدين، ١١٧/٢

([12])التفسير الكبير، ٤٥٥/٣.

([13]) عبد الرزاق عفيفي: مذكرة التوحيد، ص: ٤٣.

([14]) أبو عبد اله تعالى الرازي: مختار الصحاح، ص: ٣٠٣-٣٠٤.

([15]) نخبة من العلماء: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص: ١٥٧.

([16]) موسوعة الألباني، ١٢٧/٨.

([17])الإمام البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٧٥/٤

([18])نخبة من العلماء: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص: ١٥٧.

([19]) الآلوسي: روح المعاني ١٦٥/٩.

([20]) المصدر نفسه، ١٦٥/٩.

([21]) موسوعة الألباني، ١٢٧/٨.

([22]) فتح الباري ١١٢/١١.

([٢٣])صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ص:٧٨.

([٢٤]) موسوعة الألباني في العقيدة، ١٢٧/٨.

([٢٥]) روح المعاني، ١٦٥/٩.

([٢٦])أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٧٥/٤.

([٢٧]) الحديث في علوم القرآن والحديث، ص: ١٨٦. الزواجر عن اقتراف الكبائر ،ص: ٧/١.

([٢٨]) مقاييس اللغة. ٢٦٥/٣.

([٢٩]) تفسير السعدي ٢٧٩/١.

([٣٠])مقاييس اللغة١٩١/٥.

([٣١]) مجموع الفتاوى: ٣٣٥/١٢.

([٣٢]) السعدي: المصدر السابق، ص:٤١.

([٣٣]) ابن فارس: المصدر السابق، ١٥٣/٥.

([٣٤]) ينظر: عبد اله تعالى بن عبد الحميد الأثري: الإيمان، ص: ٥٠٩.

([٣٥]) مجلة البحوث الإسلامية ١٨٨/٢٠.

([٣٦]) شرح العقيدة الطحاوية:ص: ٣٢٥

([٣٧])الحديث في علوم القرآن والحديث. ص: ١٨٧.

([٣٨]) ابن فارس: المصدر السابق، ٢٩٠/٣.

([٣٩]) د.مصطفى سعيد الخن ود.محي الدين ديب مستو: العقيدة الإسلامية، ص:٢٩٥.

([٤٠]) عبداله تعالى عبد الحميد الأثري: الايمان، ص: ٥٠٩.

([٤١]) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٦٥/٥.

([٤٢]) ابن كثير: المصدر نفسه، ٤٨٦/٧.

([٤٣]) التحرير والتنوير، ٢٦/٥.

([٤٤]) أخرجه ومسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (١٤٥).

([٤٥]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، برقم (٢٣٣).

([٤٦])أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها: (١٤٦).

([٤٧])محمد خليفة حسن:تاريخ الديانة اليهودية، ص: ١٠٥.

([٤٨]) نحن لانتفق مع هذا التعريف تماماً، وقد عرفنا النبي في المباحث السابقة عند المسلمين.

([٤٩]) دكتور بطرس وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، مادة نبيّ، أنبياء، نبوّة.

([٥٠]) محمد خليفة حسن:تاريخ الديانة اليهودية، ص: ١٠٧.

([٥١]) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

([٥٢]) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

([٥٣]) ينظر: حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمة وتعليق: الدكتور حسن ظاظا، ص-١٦-١٨.

([٥٤]) المصدر نفسه، ص: ١٩.

([٥٥]) حزقيال/ الإصحاح١٣: ٢-٣.

([٥٦]) الأبعاد العقدية والأخلاقية لموقف اليهود من النبوة والأنبياء في أسفار العهد القديم، ص: ١٥٨.

([٥٧]) هنري س.عبودي: معجم الحضارات السامية، ٣٩٥. قاموس الكتاب المقدس، مادة حرف(د) و(س).

([٥٨]) صموئيل الثاني الإصحاح١١: ٢-٥. هذا الإصحاح يذكر القصة بكاملها ١-٢٧.

([٥٩]) الملوك الأول: ١١: ٥-٧. هذا الإصحاح تذكر هذه القصة بكاملها.

([٦٠]) وردت هذه القصة في سفر التكوين، في الإصحاح ١٩: ١-٣٨، وهذا الإصحاح يروي لنا كيف أنجى الله لوط عليه السلام وأهله إلا إمرأته من عذاب، مع اعتراف التوراة بنبوته، لكن ينسب إليه شرب الخمر وارتكاب ابنتيه الزنا معه.

([٦١]) التكوين: ٢٧: ١-٤.

([٦٢]) التكوين: ٢٧: ٥-١١.

([٦٣]) التكوين: ٢٧: ٣٢-٣٥.

([٦٤]) سفر اللاويين، الإصحاح ٢٤: ١٧. وردت عدة نصوص في تحريم القتل ومعاقبة من قتل إنساناً في التوراة، منها: العدد الإصحاح ٣٥: ١٦-٢٣. الإصحاح ٣٥: ٣١. الخروج٢١: ٢٨-٢٩.

([٦٥]) سفر اللاويين، الإصحاح ١٨: ٢٢-٢٣.

([٦٦]) المصدر السابق ٢٠: ١٥-١٦.

([٦٧]) المصدر السابق ٢٠: ١١-٢١.

([٦٨]) المصدر السابق: ٨-٩.

([٦٩]) المصدر السابق: ١١-١٢.

Abstract

In This research, We have tried to explain about sending prophets (p.b.u them) by God which is one of the common believes among Islam and Judaism, but the two religions are different about if the prophets are infallible (sinless) or not.
This study has tried to explain academically and
independently to describe both of the Judaism and Islams view about the subject.
Eventually we concluded that ther is a wide difference between that two religions regarding their view about infallibility of the prophets from all sins.